مع ابنِ كثير في تفسيره لنتدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (١)

فقد جاء في تفسير هذه الآية قوله:

يأمر الله - تبارك وتعالى - عبدَه ورسولَه ﷺ أنْ يأمُرَ عبادَ الله المؤمنين أنْ يقولوا - في مُخاطبتهم ومُحاورتهم - الكلامَ الأحسن، والكلمةَ الطيِّبة؛ فإنهم إنْ لم يفعلوا ذلك نَزَغَ الشيطانُ بينهم، وأخرج الكلامَ إلى الفعال، ووقع الشرُّ والمخاصمة والمقاتلة، فإنه عدوٌّ لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، وعداوتُه ظاهرةٌ بيِّنةٌ. ولهذا نهي أن يُشير الرجلُ إلى أخيه المسلم بحديدةٍ؛ فإن الشيطانَ يَنْـزَغُ في يده، أي: فربَّما أصابه بها، كما جاء فيما رواه الإمامُ أحمد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يَمْشِيَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلاحِ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِغُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ نَارٍ » (٢)

أخي المسلم: ذاك مما ذكره الإمامُ ابنُ كثيرٍ في تفسير هذه الآية **﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾**

---

(١) الإسراء: ٥٣.

(٢) أحمد: باقي مسند المكثرين، رقم ٧٨٦٥.

فلنحْرِص على الكلمة الطيِّبة في شئوننا؛ فكَم من كلمة طيِّبة عَلَتْ بقَدْرِ صاحبِها، وبوَّأتْهُ - بقَبولها عند الله - منازلَ السعداء، وكَم من كلمةٍ خبيثة هَوَت بصاحبِها إلى مدارك التُّعَسَاء.

الكلمةُ الطيِّبة تُطيب بها العشرة، وتصفو المودة، ويعُمُّ السلام.

والكلمة الخبيثة ينقطع بها الوُدُّ، ويقعُ الشَّرُّ، وينـــزغ الشيطان.

فلنعرفْ للكلمة موضعَها، ولنتبين ما فيها قبل أن ننطقَ بها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ » [1] ومعنى « يَتَبَيَّن » أي: يفكر أهي خيرٌ أم لا.

فلنُفَكِّر فيما نقولُ، ولنعرف نتائجَ ما نقول، فإن كان في القول خيرٌ فلنَقُل، وإن كان غير ذلك فلنُمْسك. وإن كان يحتمل هذا وذاك فلنُمْسك؛ حتى لا يقع منَّا إلاَّ ما يُحقِّقُ الخيرَ فيما بيننا، ويُرضي ربَّنا. وذاك مقتضى الإيمان « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » [2]

ونحنُ مَنْهيُّـــون أن نُكثرَ الكـــلام بغير ذكر الله. روى الترمذي عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي » [3]

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم ٥٩٩٦.

(٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم ٥٩٩٤.

(٣) الترمذي: كتاب الزهد، باب منه، رقم ٢٣٣٥، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وقال ﷺ: « مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ » (١)

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (٢) هكذا أُمِرَ الرسولُ ﷺ أن يُبلِّغَ عبادَ الله المؤمنين؛ فإن مقتضى الإيمان أن يأتمروا بما أُمروا به، وأن ينتهوا عمَّا نُهوا عنه.

والسبيل إلى ذلك أن يستحضرَ الإنسانُ - دائماً - أنه مؤاخَذٌ بما يتكلَّمُ، مُحاسَبٌ على ما يقعُ منه ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٣)

روى الترمذي عن سفيان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: « يا رسول الله، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ: قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا » (٤)

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال معاذُ: يا رسولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ. قَالَ: « لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ »، وبعد أن ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ ما يجبُ عمله لدخول الجنة والبُعْد عن النار، قال: « أَلا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ (٥) ذَلِكَ كُلِّه ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّه. فَأَخَذَ بِلِسَانِه، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّه وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِه ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ (٦) يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى

---

(١) الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم ٢٣٣٣، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) الإسراء: من الآية ٥٣.

(٣) ق: ١٨.

(٤) الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم ٢٣٣٤، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

(٥) ملاكُ الشيء: ما به إحكامه وتقويته.

(٦) دعاء بالفقد، والمراد به التعجب.

مَنَاخِرِهِمْ - إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » (١)

ومَن تدبَّرَ ذلك عَرَفَ أن كثيراً من الأعمال الصالحة قد تضيعها سفاهَةُ اللسان وتجاوزه. فمن الناس من يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، فيأخُذُ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وقد لا يبقى من حسنات من أساءَ شيءٌ يُوَفِّي به مَن أُسيء إليهم، فيُؤخَذُ من خطاياهم، وتُطرَح عليه، ثم يُطرَحُ في النار ! وكُلُّ ذلك بسبب قول أو عملٍ سيء، مع أنه قد جاء يومَ القيامة بصلاة وصيام وزكاة ! فضيَّع ما جاء به بِفَلَتَاتِ لسانه وسُوءِ عمله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: « قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ ﷺ: هِيَ فِي النَّارِ.... الحديث » (٢)

فَلْنَحْفَظ ألسنتنا، ولنَقُل القولَ السديد، ولنَتَّقِ الله في جميع أمورنا؛ فقد أمر الله عبادَه المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة مَن كأنَّه يراه، وأن يقولوا قولاً سديداً، أي: مستقيماً لا عِوَجَ فيه ولا انحراف، ووعَدَهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابَهم عليه بأن يُصْلِحَ لهم أعمالهم، أي: يوفِّقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوبَ الماضية، وما يقع منهم في المستقبل، يُلهمهم التوبة منها. فقال جلَّ شأنُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (٣)

---

(١) الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم ٢٥٤١. وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حسَنٌ صحيحٌ.

(٢) أحمد: باقي مسند المكثرين، رقم ٩٢٩٨.

(٣) الأحزاب: ٧٠، ٧١.

مع ابنِ كثير في تفسيره لنتدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (١)

فقد جاء في تفسير هذه الآيات قوله:

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ يُخبرُ تعالى عن لُطْفِهِ في تسخيره لعباده الفُلْكَ في البحر، وتسهيله لصالح عباده؛ لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليمٍ إلى إقليمٍ. ولهذا قال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمتِهِ بكم ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يُخبِرُ سبحانه أنَّ الناسَ إذا مسَّهم ضُرٌّ، دَعَوْه مُنيبين إليه، مُخلصين له الدِّين، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أي:

---

(١) الإسراء: ٦٦- ٦٩.

ذهب عن قلوبكم كُلُّ ما تعبدون غيرَ الله تعالى، كما اتفق لعكرمةَ بن أبي جهل لما ذهبَ فارًّا من رسول الله ﷺ حين فتحَ مكة، فذهب هارباً، فركب البحرَ؛ ليدخل الحبشةَ، فجاءتهم ريحٌ عاصفٌ، فقال القومُ بعضُهم لبعضٍ: إنه لا يغني عنكم إلاَّ أن تدعوا الله وحده. فقال عكرمةُ في نفسه: « والله إنْ كان لا ينفعُ في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البَرِّ غيره. اللهم لك عليَّ عهدٌ لَئِن أخرجتني منه لأذهَبَنَّ، فلأضعنَّ يدي في يد محمد ﷺ؛ فَلأجدَنَّهُ رءوفاً رحيماً »، فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسولِ الله ﷺ، فأسلم وحَسُنَ إسلامُه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ ﴾ أي: نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريكَ له ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ أي: سَجِيَّتُه هذا، ينسى نِعَمَ الله ويجحدها، إلاَّ مَن عصم من الله.

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾ يقول تعالى: أفحسبتم بخروجكم إلى البَرِّ أنكم أَمِنْتُم من انتقامه وعذابه، أن يخسف بكم جانب البَرِّ، أو يُرسِلَ عليكم حاصباً، وهو المطر الذي فيه حجارةٌ. قاله مجاهدُ وغيرُ واحد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1]، وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى

(١) القمر: ٣٤، ٣٥.

ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)

وقوله: ﴿ ثُم لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلاً ﴿١٨﴾ ﴾ أي: ناصراً يَرُدُّ ذلك عنكم، ويُنقذكم منه.

﴿ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ يقول تبارك وتعالى: أَمْ أمِنتم أيُّها المُعرِضون عنَّا بعدمَا اعترفوا بتوحيدنا في البحر، وخرجوا إلى البَرِّ ﴿ أَن يُعِيدَكُمۡ ﴾ في البحرِ مرَّةً ثانيةً ﴿ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ أي: يقصِفُ الصواري، ويُغرق المراكب. قال ابنُ عباسٍ وغيرُه: القاصِف: ريحُ البحار التي تكسر المراكبَ وتُغرقها.

وقوله: ﴿ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ﴾ أي: بسبب كُفركم وإعراضِكم عن الله تعالى، وقوله: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ قال ابنُ عباس: نَصيراً، وقال مجاهدُ: نصيراً ثائراً، يأخُذُ بثأركم بعدكم. وقال قتادةُ: ولا نخافُ أحداً يتبعنا بشيءٍ من ذلك.

أخي المسلم: ذاكَ ما ذكره الأمامُ ابن كثيرٍ في تفسير هذه الآيات ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ

(١) الملك: ١٦، ١٧.

ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

فلنعرف لُطْفَ الله بنا، ولنتدبر تسخيره ما في السموات وما في الأرض من أجلنا، ولنشكر الله على نِعمِه، ولنحمده على لُطفه وبِرِّه وفضله ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (١)

ولنجعل من شُكرنا وحَمدنا وذِكرنا لخالقنا سبيلاً لطلب مرضاته، ورجاء رحمته، فنحن حيث كُنَّا - في بَرٍّ أو بحر - نمضي فيما سخَّر وقَدَّر، ولا أَمْنَ لأحد - حيثُ كان - إلاَّ بفضله ورحمته؛ فالبَرُّ يمكنُ - في أيِّ لحظة - أن يُخسَفَ بأهله، والبحر مُسخَّرٌ بأمره، والفلكُ - وهي تجري في البحر - يمكنُ أن تأتيها رِيحٌ طيِّبةٌ، ويمكن أن تكون قاصفةً عاصفةً تُغرِق الفُلكَ بمَن فيها. ولا نجاةَ - حين يُحاطُ بالناس في بَرٍّ أو بحرٍ، أو سماءٍ أو أرضٍ - تُلتَمَس إلاَّ من الله، ولا فرارَ إلاَّ إليه ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

(١) الجاثية: ١٢، ١٣.

ٱلَّذِينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١)

وينسى هؤلاء أن الله أنقذهم من الغرق في بحرٍ يمكنُ أن يُعيدهم إليه، ويُغرقهم فيه، ومَن نَجَّاهُم إلى البَرِّ يمكنُ أن يخسف بهم جانبَ البَرِّ.

ينسى هؤلاء أن لله ما في السماوات وما في الأرضِ، وأنهم في مُلكه حيث كانوا، فلا نجاةَ لهم - من سُوءِ عاقبةٍ ومصيرٍ - إلاَّ بشُكرٍ وذِكرٍ ويقينٍ أن لا مَلْجَأَ من الله إلا إليه. وفي الحياةِ نُذُرٌ، وفي الكونِ آياتٌ ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٢)

فطُوبَى لمن اتَّعظ واعتَبَر، وويلٌ لَمن طغى وأدبَر ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٣)

(١) يونس: ٢٢، ٢٣.
(٢) يونس: من الآية ١٠١.
(٣) يونس: ١٠٢، ١٠٣